قال لها انه يقرأ ، وانـــه يحب الموسيقى ، ولكنها لم تكن ميالة الى تصديقه ، بدليل انها عندما سألته عن فنانه المفضل تردد قليلا قبل ان تسمّيه الخاطرة بجواب .

لا يمنع ان تكون لديه مجموعة، ولكن هل كل الذين يملكون مجموعات من الكتب او الموسيقى يقرأون ويسمعون ؟؟ ولا تدري لم كانت كلما فكرت فيه اتجه تفكيرها مباشرة الى ابن عمتها كان في سنها او اصغر قليلا، ولم تكن تطمع في ان تتزوجه ، فما زالت له على مقاعد الدرس سنوات ، وما زال مستقبله شيئا مغمغماً مجهولا .

ولكنها كانت ابدا تعجب ببساطة شخصيته ووضوحها ، بهواياته الطفلة ، فلو عثر على اسطوانة جديدة مثلا حملها وجاء ركضاً الى بيتها واتجه رأساً الى الحاكي وادارها وراح يرقص وهو يضج حياة .

اما هذا الآخر فلا يمكن قط ان يكون بسيطا طبيعياً ، فهو يمثـــل شخصية رجل الاعمال تمثيلاً لا يخلو من تكلف. وقد يضحك حتما لو ارته محاولاتها في الرسم بالالوان المائية او هو يلبس دور « الفاهم » فحاول ان ينتقد لوحاتها وهو ينفث دخان لفيفته .

الا ان هذه كانت مجرد صغائر يمكن ان تحمله على ان تتخلى عنها او يمكن ان تألفها فيه لو عرفته احسن .

ثم ماذا وراء رفضها لو رفضت ؟؟

هل تملك ان تختار ؟

ليس في قلبها حب معين لانسان ، ولو كان — وكم ودت ان يكون — لسهل عليها ان تعين اتجاه حياتها ، الا ان هذه الثروة لم تكن لقلبها ، وما كانت حياتها خلواً مـــن الاثارات ، كان فيها بعض ما يسعد الفتيات او يثيرهن ، عبارات اطراء من شباب او اعجاب صغير ، او ود مع واحد كما هي مع ابن عمتها، ولكن هؤلاء جميعاً لا يمكن ان يصلحوا ازواجا وما يدريها انهم يريدون .

ومع هـذا ففرص الحب لا تزال في متناولها ، لو عرفت كيف تغير قليلا من نمط حياتها .

ولكن اكان خلق الفرصة بحد ذاته ممكناً بالنسبة لها ؟

لا تعتقد ، فصلاتها بالناس محدودة وشكلية. ابوها رجل يفهم الحياة فهما عتيقا ، ولا يؤمن بانها يمكن ان تكون أحسن لبنته مما يعطيها، حسبها ان تأكل وتلبس وتزور وتستقبل اقرباء الاسرة واصدقاءها القليلين، او تموت ضجرا — ان شاءت ان تموت — هي جالسة ترقبه وهو يلعب الطاولة مـع كهل من اصدقائه .

وامها كانت تحمل نفس التفكير، ونفس المقاييس، وكل همها، وقد زحفت الى عقدها الخامس، هو ان تختار بنفسها زوجا لبنتها تطمئن عليها في صحبته، وقصدها اولا ان يكون ميسورا ، فالمال يعني لديها فرشا وثيرا ومظهرا اجتماعيا لا بد منه .

اما هي فتحب ان يكون زوجها انساناً مختلفاً بعض الشيء : تريـــده اكبر منها قليلا ، يحفظ الكثير من القصائد العاطفية ، ويحب لوحاتها ، ويقبل ان يضع (فوطة) على خاصرته ويشاركها صنع كعكة البرتقال او عجة البطاطس ، ويقبلها مرة كل عشر دقائق . هكذا كانت تتمثل (رجلها) ولم تعثر بعد على الانسان الذي يمكن ان يكون كل هذا الا ابن عمتها .

لو كان لها اخ كبير لتيسرت لها فرص التعارف ، ولكن اخاها كان اصغر منها بكثير .

اذن هي في واقع حالها لا يمكن ان تختار ، لا يمكن ان تمارس ارادتها ، ككل شرقية ، فهي مشلولة الوجود .

وظلت في الداومة .

ماذا تقول ؟ هل ترفض ؟

الا يعتبر رفضها تسرعا ؟ ان في الرجل حسنات ، ثم هي لا تستطيع ان تقطع بان ثمة هوة نفسية بينهما لسبب بسيط هو انها لم تعاشره .

الا يمكن ان يتجرد من هذه المظهريات عندما يصبحان احسن تآلفاً ؟ الا يمكن ان تجعل منه انسانا بسيطا مثلها ؟

لم اختارها هي بالذات ؟

طالما راودها السؤال والحاحليها، وودت من اعماقها لو تسمع جوابه، فلم تسعفها الفرصة. ولما قالت لأبيها: هل سألته، نظر اليها مستغرباً وقال: سخافة كيف اسأله سؤالا كهذا ؟ اعجب بك فخطبك . . فماذا تريدين اكثر ؟ يا ابنتي لا تكوني خيالية كاشخاص الكتب !

اجل لم اختارها ؟

حلوة ؟ ان رصيدها عادي ، توسط في الشكل والمظهر وليس هنالك ما يبهر . وغيرها من هن احلى . .

وعندما سألته هذا السؤال بعد ان خطبت اليه . . ابتسم ابتسامة خاصة وقال: «تريدين الحق؟ لقد تعبت من النساء . . وقلت ساختار زوجتي بطريقة تقليدية . . انني أخشى البضاعة المعروضة .»

انا، انا . . يريد ان يربط بدايتها ببداية نهايته . فالبدايتان في نظره واحدة .

تعب من النساء ، ولكنها هي لم تتعب من شيء بعـد ، فما ذنبها ؟ لقد قبلته بعد ان اتعبها التردد ، وافلحت امها في ان تجعلها تشعر بانها ستندم لو رفضته ، وتركها ابوها تفكر لنفسها، ولم تجد هي من داخلها عامـــلا يمكن ان تكون له كلمة الفصل في تجربة كهذه .

اجل قبلته عصفوراً في اليد، اما العشرة على الشجرة فحساب كتجارة جحا.

هكذا قالت امها وكثيرات من صويحباتها ممن لا يزلن بلا ازواج، وهكذا اعتقدت، او توهمت انها اعتقدت، حين قالت « نعم اقبل » وخطبت اليه اربعة شهور حاولت خلالها على ضوء « النعم » ان تحبه ، ان تفهمه ، ان تقربه منها ، من عقليتها . الا انها لا تستطيع ان تزعم انها نجحت ، وظل في نظرها الرجل الذي بعث بامه لتنتقي له امرأة ، وكان من الجائز الا تكونها لو كانت ساعة جاءت امه غائبة عن البيت او لو حلا لامه ان تمر اولاً ببيت الجيران !

وظل الرجل الذي يقيّم الحياة بعقلية مختلفة ونفسية تسخر من احلامها .

ابتاعت مرة ادوات مطبخ لبيتها ، وارته اياها وهي تقول بمزاح «هذا هو عالمي في بيتك » ، فقال : «او تظنين زوجك موظفا في الدرجة التاسعة حتى يدعك تعيشين بين القدور ؟ لا يا صغيرتي انا لا احب ان تكون لزوجتي رائحة ايدي الخادمات!» و سألته مرة: ألا تساعدني في تجفيف الصحون بعد ان اغسلها ؟ فقال وهو يضحك : هذا اذا تركتك تغسلين الصحون ! وضايقها بكثرة هداياه من العطور والحرير فقالت: الا يمكن ان تحبني الا اذا اغرقتني بكل هذا ؟ فاجاب: تريدين ان استظهر لك دواوين الحب؟؟

هذه الثانويات الى جانب حركات تبدر منه كانت تتجمع فتغور شقة تشعر بها تقف بينهما. لا يمكن ان تكون لهذه الحركات قيمة تسجل معها انهـــا كانت تزعجها ثم تعود تطمئن نفسها وتضحك من صغائر لا يمكن ان تحول دون زواج سعيد .